ملامح في الفكر العراقي القديم

كيورك مرزينا كرومي
مدرس مساعد / قسم التاريخ
كلية الاداب / جامعة الموصل

مقدمة :

١ ــ يدور هذا البحث حول الاجابة عن السؤال الآتي: ماذا نعني بالفكر العراقي القديم ؟ وأرى الاجابة عن هذا التساؤل تتحدد في الكشف عن النقاط الاساسية في الفكر العراقي القديم ، واسميه الفكر لانه لايخلو من نفحات عقليه ، على الرغم من كونه فكراً اسطورياً (١) أذ أن الاساطير قد دخلت في تقييم بعض الحقائق وأبداء الآراء ، من حيث ان الفكر العراقي الممتزج بالاسطورة ، لايعني بكونه فكر خيالي لاعلاقه له بالواقع ، بل على العكس من هذا نجده خلاقاً ، وفيه اصالة لانه عبر عن الواقع الانساني والطبيعي في تلك الحقبة التاريخية ، واستعمل المنطق ــ اي المنطق الاسطوري (٢) ــ الذي ليس باقل منزلة من المنطق الذي استعمله فلاسفة اليونان ــ وخاصة المعلم الاول «ارسطو » ــ في تفسيره للظواهر الكونية وتنسيقها .

المقصود بالفكر العراقي القديم :

٢ ــ نعني بالفكر العراقي القديم ، جملة الاسئلة التي حددها المفكر العراقي والاجابات التي طرحها امام الاسئلة التي واجهته ومن هذه الاسئلة : ما أصل

---

١ ــ الاسطورة ضرب من الشعور يسمو الشعر، باعلانه عن حقيقة ما، ضرب من التعليل، يسمو على التعليل بانه يبغي احداث الحقيقة التي يعلن عنها : أنها ضرب من الفعل، انظر فراتكفورت: ماقبل الفلسفة ص١٩

٢ ــ هو المنطق الذي ينظر إلى الكون نظرة شاملة لايميز بين الطبيعة والانسان والمجتمع والالهة ويعتمد على العاطفة، ولايرتفع إلى تحكيم العقل في التميز بين الصادق والكاذب بين الحقيقي والزائف، اما المنطق الفلسفي هو المنطق القائم على التحكيم والحجة البينة الواضحة على العقل في التمييز بين الصائب والخاطئ بين الحقيقة والمظهر، بين الحق والباطل.
ياسين خليل: نظرة الانسان الشاملة إلى الكون آفاق عربية ٥/٤٦-٤٧

العالم ؟ وما الانسان ؟ لماذا وجد هذا العالم ؟ من اوجده ؟ أنهاية هذا الانسان تنتهي بمجرد خروج النفس منه ؟ وما هي النفس ؟ وهل هناك خلود ؟ (١) وقادته مثل هذه الاسئلة الى ان يجد حلولا شافية ومقنعة .. وعالج المفكر العراقي بالاضافة الى ذلك مشاكل عديدة كالجمالية والاخلاقية والفيزيقية ــ الطبيعة ــ والميثافيزيقية ــ ما وراء الطبيعة ــ والميثولوجية والسياسية ، والقانونية ، والعلمية الرياضية والفلكية ، ولا يمكن اعتبار هذه الفترة فترة مظلمة مرت بها البشرية ، بل كانت فترة ازدهار حضاري ، وسوف نبين مقدرة الانسان ودوره الفكري في الحضارة الانسانية ، كي نوضح للقارىء بان الفكر في معظم مراحله مدين بالشيء الكثير لفكر ما بين النهرين .

وعلى هذا الاساس سيكون موضوعنا مركزاً على ابراز البذور الفلسفية في الفكر العراقي القديم مع الاخذ بنظر الاعتبار الفارق الزمني . واذا كان الفكر في الفترة اليونانية قد عنى بدراسة هذا الكون والانسان وعلوم ما بعد الطبيعة ، فهل من الصعب ان نصف آراء المفكر العراقي الذي بحث في المشاكل ذاتها ، التي بحث بها اليونان فكر ؟ تتحدد الاجابة على هذا التساؤل ، في رأي احد المفكرين المعاصرين ، نعم لانهم أدركوا بعض المشاكل الذهنية وتساؤوا لماذا حدثت الظاهرة الفلانية ، وكيف نشأ الشيء الفلاني ومن اين جاءت النتائج الفلانية :... اضافة الى ذلك نجدهم قد استعملوا اسلوب التجريد (٢) ولسنا مخالين لو قلنا بان معظم جذور النظريات التي عالجها المفكر اليوناني ، والتي اعتبرها الباحثون آية من آيات الابداع والاصالة تعود الى نظريات شرقية (٣) . التي سبقتها نظريات شرقية مشابهة لها .. وخاصة في الفكر الطبيعي ،

---

١ ــ للمزيد من هذا المجال انظر رسالتنا الموسومة « النفس عند ابن الحيري» ص٢

٢ ــ انظر فراتكفورت : ماقبل الفلسفة ، ص ١٧

٣ ــ المصدر السابق ، ص ٢٧٥ ، وانظر كذلك طه باقر ، بابل وبورسبا ص ١١ ، وتوفيق الطويل ، الفلسفة الخلقية ص ٦٩

ذلك الفكر الذي رد كل ما هو متغير ومتبدل من ظواهر واشياء العالم ، أما الى مبدأ اول ــ الماء ، الهواء اللامحدود ، النار والى عدة مبادىء ، اعتبارها أساسية واولية وهي (النار ، الهواء ، الماء ، التراب (١) ولا بد من كلمة تقال بان المفكر العراقي لم يقف عند هذا الحد ، بل استطاع ان يتسامى من المحسوس الى المعقول ، لذا نجده وقد ابتكر فكراً أدبياً عريقاً عالج فيه المشاكل الانسانية حيث خصص وقتاً كبيراً لدراسة عالم الواقع وعالم ما بعد الموت ، وكان هدفه من هذه الدراسة ايجاد الاسباب والمسببات للحوادث الطبيعية البشرية .

٣ ــ لقد بدأ الانسان منذ ظهوره على الطبيعة ، يسأل نفسه عن بعض غوامض الكون ، والبحث عن حلول لعدة مشاكل واجهته في حياته (٢) ، وكانت

---

(١) ــ برز في الفلسفة اليونانية اتجاهان طبيعيان :
الا تجاه الطبيعي الأول : الذي أكد على موقف احادي التفسير ، راداً كل الأشياء والظواهر إلى مبدأ أول ، فهو « الماء» عند " طاليس" ام الهواء عند " انكسيمانس"ام "النار" عند "قليطس " ام اللا محدود" عند " انكسيمندر "الا تجاه الطبيعي الثاني : وهو اتجاه فكري أكد على موقف تعددي في التفسير ،وهو موقف كل من " الباذوقليس " " وانكساغوراس" و " ديمقريطس" وهذا الموقف يؤكد على : ان ليس هناك مبدأ اول واحد للعالم . بل هناك مباديء اولى واساسية اكثر من مبدأ واحد ، هي " النار ، والهواء ،الماء ، التراب "
See:

Barnet . J.Early Greek Philosophy, PP. 25 — 39

(٢) ــ ومن الجدير بالذكر ان هناك محاولة بدأت في القرن العشرين ،من قبل عدد من المفكرين لا رجاع الفكر اليوناني ، او لا يجاد البذور الفكرية له في الفكر الشرقي اي المصري والعراقي القديم والهندي. واعتمد انصار هذا المذهب على الاكتشافات الا ثارية في الحضارات الشرقية وخاصة في الامور المتعلقة بالخلق والمبدأ الأول الذي وجدت منه العناصر ،وكذلك الاكتشافات على اوراق البردي حيث حدوث معالم الفكر المصري فيها ، واكتشاف الرقم الفخارية في الامور المتعلقة بالفلك والهندسة عند البابليين ،وكذلك وجدوا من خلال الا تصال الذي قام به بعض فلاسفة اليونان للمدارس الشرقية. كطاليس ، وفيثاغورس وافلاطون ، دفع بعض المفكرين في هذا القرن .

اجاباته مقنعة ، وبعملة هذا استطاع ان يتسامى على المادة الجامدة ونسب اليها صفات حياتية (١) تشابه صفات الكائن الحي من حس وأدراك وتفكير حتى اصبح الانسان جزءاً من الطبيعة (٢) يخضع لقوانينها ، يشاركها وتشاركه في السراء والضراء لذا نجده وقد نظر الى الكون نظرة شمولية . وان هذه النظرة هي من المشاكل الفلسفية الكبرى في الفكر اليوناني (٣) .

وجسد المفكر العراقي الظواهر الطبيعية التي فاق أدراكه تفسيرها ، حيث اعطاها صفات الهية ، وذهب الى القول بان هناك قوى عديدة فوق العالم المحسوس لها صفات تفوق صفات العالم المحسوس، وتلك القوى هي : قوى عناصر الطبيعة كقوة الماء ، وقوة الهواء والشمس (النار) والتراب .. ثم استمر في حواره النفسي ، فحدد الاجابة عن السؤال الذي طرحه ، الا وهو : ما اصل هذا العالم ؟ وقد انحصرت اجابته بان « اياً » قام بخلق جزء مهم من الكون وهو مياه العمق من جسد (آبسو) ، وان «مردوخ» قام ايضاً بخلق جزء آخر من الكون من جسد (تيامه) أذ انه شطر جسدها الى شطرين

تابع هامش (٢) =

" كابرنيت" إلى التأكيد على أن الفكر الشرقي كان سباقاً للفكر اليوناني .. واستنتج هؤلاء بان الفكر الذي قيل في الفترة اليونانية الاولى اي عصر ماقبل سقراط ، كلام تكتنفه الأساطير الشرقية هنا وهناك ، كالافكار المتعلقة بالقضاء والقدر ، والعدالة ، وذهب هذا الفريق إلى القول بان الافكار هذه لعبت دوراً كبيراً في الكفكر الفلسفي والاسطوري في آن واحد.

See

A. James, B, Ancient near eastern text, PP--3--4

ب — بدوي ، عبد الرحمن : ربيع الفكر اليوناني ص ٨ — ٩.

١ — انظر فرانكفورت : ماقبل الفلسفة ، ص ١٦٢

٢ — انظر فرانكفورت ماقبل الفلسفة ص ١٤ — ١٥ وكذلك ملحمة كلكامش تأليف ا.م. ديكيانوف وب . س . ترافيوس ترجمة عزيز حداد ص ١٦٦ — ١٦٧

٣ — انظر اولف جيمين : المشكلات الكبرى في الفلسفة اليونانية ص ٢٧٩

جعل من اعلاه السماء.. (١) ويمكننا الافتراض بناء على ذلك بان المغزى الرئيسي لذكر مقتل (آبسو) و(تياسة) لم يكن مجرد اظهار حدة الصراع بين الالهة الجديدة والآلهة العتيقة وانما كان القصد منه التوضيح بان الكون اي السماء والارض (AN — KI) ومعهما حياة العمق »(APSU) قد تم خلقهما من مياه الهية (٢)

وعلى هذا الاساس نجد المفكر العراقي القديم لأول مرة في تاريخ الفكر الانساني قد بحث عن المبدأ الاول الذي نشأت، منه المادة المحسوسة ، فكانت اجابته تقترب لما توصل اليه مفكري اليونان الطبيعيين بقرون عديدة .. اذ بات من البديهي في الفكر الفلسفي اليوناني بان عظمة طاليس تعود الى انه قال بان العنصر او المبدأ الاول للموجودات هو الماء ، لانه يغذي الموجودات، وتخرج جميع الاشياء منه وتعود اليه ، ولهذا السبب سمي طاليس اباً للفلسفة اليونانية (٣) . في حين يرى بعض المفكرين ؛بان عظمة طاليس التي انحصرت في « حيوية » المادة ، هي فكرة شرقية ، وان طاليس الذي ارجع صدور الحياة الى الماء (البحر) ، ربما اخذها من الشرقيين (٤) . ويؤيد مانذهب اليه، الرأي القائل ؛ « من الخطأ الاعتقاد بأن الفكر الفلسفي والعلمي في البحث عن العلاقات الثابتة قد بدأ باليونان ، لان مثل هذا الاعتقاد ينطوي على تحيز من جهة ، وعلى تعمد غايته الغاء ماتقدمت به الشعوب — شعوب الشرق الادنى من انجازات علمية من جهة أخرى . ففي مجال التفسير الطبيعي للكون نجد ان الحضارة البابلية قد ساهمت مساهمة فعالة في تقدم علمي الفلك والطبيعة، اذ لم تكن ملاحظات البابلي للطبيعة مجرد اشارات عابرة .. » (٥) .

---

١ — نائل حنون،عقائد مابعد الموت في حضارة بلاد وادي الرافدين القديمة (رسالة ماجستير غير منشورة) ص ٢٩ — ٣٠

٢ — مجلة سومر ج ٣ — م ٣١ سنة ١٩٧٥ ؛ مفهوم الزمان والمكان في وادي الرافدين القديم بقلم د. وليد الجادر . ص ٣٣٣ .

3 — Taylor. M· E Greeky Philosophy., p12

٤ — فرانكفورت : ماقبل الفلسفة ص ٢٨٠

٥ — ياسين خليل : منطق البحث العلمي ، ص ٣٣ .

T/٧/٢

وثمة نقطة اخرى منحت طاليس قيمة في الفكر ، قوله بان المادة حية ، وان حركة المادة ديناميكية اي ان المادة تتحرك في الداخل – وفي هذه الحركة ابطل طاليس المحرك الخارجي واعتقد بان العالم كله حي وتابعه في هذا الصدد فلاسفة آخرون .. وسمي هؤلاء باصحاب المادة الحية « الهيلوزويرت»

وان حياتية الكون كانت من المشاكل الفلسفية الكبرى في الفكر اليوناني (١) . ونجد مايقابل هذه الفكرة اليونانية فكرة شرقية عراقية بحتة قديمة تذهب الى القول بان الكون بمادته عضو هرمي حي (٢) .

ورب سائل يتساءل : من اين جاءت فكرة حياتية العالم في الفكر العراقي القديم ؟ ان الجواب على هذا التساؤل يمكن ان نتلمسه في اسطورة الخليقة ، تلك الاسطورة التي حددت الموقف بالصورة الآتية : ان العالم قد خلق من جسم تيامت ، وتيامت الهة الحياة المالحة . وبما ان الاله حي بجسمه وروحه فيكون العالم المتأتي من جسم حي كذلك ، وان فكرة خلود الالهة في الفكر العراقي القديم جازمة . لذا فالحركة الموجودة في العناصر تكون ازلية ابدية كذلك لانها من جسم الالهة (٣) . ومن الضروري ان نشير الى ان هذه الفكرة التي جاء بها المفكر العراقي ؛ اي خلق العالم من جسم الاله كانت لها صدى في الفكر الفلسفي اليوناني عن طريق النحلة الاورفية (٤) .

٤ – ومن الافكار الاخرى التي تلفت الانتباه والدراسة ، تلك الفكرة التي حددت الاجابة عن التساؤل القائم : من اين جاءت فكرة الماء في الفكر العراقي القديم بأنه اصل الموجودات او العنصر الاول الذي يمكن ان يكون اساساً للعناصر الاخرى ثم الموجودات ؟ نقول ان التأملات والظنون التي تلقاها هنا ؛ هي التي هيأت للعراقيين القدامى ان يخترقوا بها الغموض الذي

---

١ – انظر اولف جيمين : المشكلات الكبرى في الفلسفة اليونانية ، ص ٢٦١

٢ – ياسين خليل : منطق البحث العلمي ص ١٠٥ – ١٠٨

٣ – نائل حنون : : عقائد مابعد الموت ، ص ٢٩

٤ – كريم متى : الفلسفة اليونانية ، ص ١٧

يكتنف اصل الكون تلك التأملات المبينة على معرفتهم بالطريقة التي تتكون بها مساحات جديدة من الارض في البلاد. فالعراق بلد نشأت ارضه على آلاف السنين من الطمي الذي يجيء به النهران دجلة والفرات ويرسبانه في المصب (١) وأذا قارنا هذه الفكرة العراقية بفكرة مشابهة لها في الطرح عند اليونان ، وهي الفكرة التي تؤكد على ظهور اليابس من الماء ، والتي أشار اليها طاليس حيث اعتقد بان عناصر الموجودات قد خرجت من الماء (٢) فاننا ننتهي الى ان مفكري العراق القدامى قد سبقوا طاليس في هذا المجال قروناً عديدة ، ويؤيد ذلك الرأي الذي يذهب الى « ان تصور فلاسفة ايونية للطبيعة على اساس انها حية هو تصور بابلي ولا شك ، وان تصور طاليس للمادة الاولى او المبدأ الاول هو الماء باعتباره اصل الاشياء يمكن فهمه على ضوء الاسطورة البابلية بعد ان تنتزع منها الرداء الاسطوري .. » (٣) .

نستنتج مما سبق بان الماء في تصور العراقيين الاوائل كان موجوداً أزلياً، وان الاشياء قد خرجت منه ، وان المبدأ الاول وهو ميتافيزيقية — او صدأ تفسيري — ان صح التعبير . وهي في حالة «هيولى » قابلة للتموضع او ان تكون شيأ ما ، وان خروجها من القوة الى الفعل بلغة ارسطية ، نتج منها العالم المحسوس ، واول العوالم كان (الماء) . ثم نشأت منه العناصر الاخرى التراب ، الهواء ، النار . وان نشوء العوالم من الماء عند العراقيين القدامى يمثل تفسيراً عقلياً وان غلفته في بعض الاحيان اغلفة اسطورية ،وبذلك يمكن القول بان هذا التفسير « يمثل مدارك المفكر (العراقي) ونضوج آرائه وتأملأته في قوى الطبيعة وفي خصائص وجوده في هذا الكون » (٤) لان هدفه بيان العلل التي أنشأت الموجودات .

---

١ — نائل حنون : عقائد مابعد الموت ، ص ٢٧— ٣٢

٢ — يوسف كرم — تأريخ الفلسفة اليونانية ص ١٣

٣ — ياسين خليل ، منطق البحث العلمي ، ص ٣٥ — ٣٦

٤ — صموئيل نوح كريمر : الأساطير السومرية — ترجمة يوسف داود ص ١١٨

وبالاضافة الى كل ذلك فان العراقيين القدامى اعتقدوا بان الاشياء تعود الى العنصر الذي خرجت منه ، حيث جاء في احدى الرقم نص صريح في هذا المجال : قال صاحب النص : « عسى ان يعود اجرك الطيني الى حالته الاولى في الماء . » (١) . ومن اللازم ان نشير الى ان فكرة خروج العناصر من العنصر الاول والعودة اليها ثانية هو المنهج الذي اتبعه مفكرو اليونان في الفترة التي عرفت بسيادة الفلسفة الطبيعية في عصر ما قبل سقراط (٢).

يعني هذا ان المفكر العراقي قد ادرك بان الاشياء الطبيعية تنشأ من العناصر الاربعة بعد خروجها من البحر الاول بواسطة اتحاد العناصر والصراع فيما بينها . فالعالم عندهم في حركة مستمرة ومزيج غير متعادل (٣) . . ولما كانت الطبيعة في حركة مستمرة ، اذا فقد تصورها المفكر العراقي موضوعاً غير جامد حياً متحرك ، وان ظواهر الطبيعة ليست منفصلة عن الكائن الانساني . ولذلك ذهب الى الاعتقاد بان ظواهر الطبيعة ليست الا تجارب أنسانية وبتفكيره هذا استطاع ان يميز النظام في الطبيعة الذي تقابلة الفوضى وأدرك القوى التي تؤثر على الطبيعة والانسان .

واستكمالا لهذه المسألة لابد ان نشير الى ان الماء الاول الذي اعتبره المفكر العراقي اساساً للعناصر الطبيعية ، كان في حالة مضطربة مشوشة لاشكل له ، وكان يحتوي على متضادين الموجب والسالب ، ونتيجة الصراع اتحد احدهما مع الآخر فانبثقت العناصر الاخرى (٤) . وتنسجم هذه الفكرة في اسمى صورها عند العراقيين القدامى في مفهوم يمر أعادة الحق او

---

١ — صموئيل كريمر : السومريون تأريخهم ، ترجمة فيصل الوائلي ص ٨٦

٢ — انظر أحمد امين وزكي نجيب محمود : قصة الفلسفة الحديثة ، ص ١٤

٣ — انظر صموئيل كريمر : المصدر السابق ص ١١٩
ويذهب مترجم الكتاب في ص ١٢٠ إلى أن هذه النظرية قد سبقت نظرية " الباذوقليس"

٤ — طه باقر : المقدمة في تأريخ الحضارات .ج١ ، ص ٢٣٦ .

العدالة(١) ويبرز هذا الموقف في النص الآتي : «في تتابع الزمن الدوري في الخلق والعودة الى الماء والشيء بعد، وفي الحالة الاخيرة فقط نجد ان الذي يلعب دوره هو مفهوم او حالة الرجوع الى الفوضى ...» (٢) ونجد صدى لهذه الفكرة عند فلاسفة اليونان كأكسمندر على سبيل المثال ، أذ ان العناصر عنده : عندما تكون في «الابيرون» تكون غير مرئية وتصبح مرئية بعد عملية الصراع ، وفي «الابيرون» أو اللامحدود قوتين الموجبة والسالبة ، ولا يمكن ان تخرج الاشياء الا نتيجة للصراع بين الاضداد . (٣) وكذلك نجد هذه الفكرة عند «انباذوقليس» فيطلق عليها فكرة غلبة احدى القوى قوة الحب والكرة — او تعادلها . ففي التعادل تحدث المحسوسات ، وفي غلبة احدى القوى على العناصر تفني الموجودات الحسية وفي هذه الحالة لايمكن الحصول على العالم الحسي .. ومن هذا نلخص الى ان العراقيين القدامى قد سبقوا ايضاً المفكر هيراقليطس » الذي يعتبر أباً لفلسفة الصراع والذي ذهب الى القول بان عملية الخلق والعودة الى النار والشيء غير المخلوق (٤) ربما قد يكون وضعها بتأثير الفكر العراقي القديم الذي انتقل عن طريق الاتصال الحضاري .

٥ — وعالج المفكر العراقي مقولة فكرية مهمة . لعبت دوراً مؤثراً في مجمل طروحات التفكير الانساني . وكانت مناقشته لهذه المقولة . تقوم على اعتقاده بانه جزء من الطبيعة يتأثر بها ، كما تتأثر باقي الموجودات الاخرى ، لكن هذا لايعني بانه لم يعرف بين ما هو مادي وما هو غير مادي ، بل بالعكس نجده يفرق بكل وضوح بين ماهو مادي وماهو روحي وادرك كذلك ان النفس الانسانية تتالف من قوى كالعاقلة والعاطفة والحياتية ، وحدد مكان كل قوة منها في البدن كالكبد والقلب حيث جعل الكبد مركزاً للحياة

---

١ — نعني بالعدالة بمعناها الفلسفي : اجتماع العناصر المتشابهة بعضها مع البعض الآخر وتكون تلك العناصر بعيدة عن الصراع والتناقض.

٢ — مجلة سومر ج ٢ ، مجلد ٣١ سنة ١٩٧٥ ص ٣٣٩

٣ — انظر كريم متى : الفلسفة اليونانية ص ٣١ — ٣٦

٤ — انظر يوسف كرم : تأريخ الفلسفة اليونانية ص ٢١

والعاطفة والقلب مركزاً للعقل (١). وعلى هذا الاساس نجد ان ادراك المفكر العراقي لقوى النفس ، يقترب من فهم افلاطون ، للنفس وقواها واماكنها في البدن (٢). وكذلك فانه اعتقد بان المادة قد يطرأ عليها الفساد وتتحول من شكل الى آخر ، أما الروح فلا تطرأ عليها ظاهرة الكون والفساد ، وانها هبطت من العالم العلوي الى العالم السفلي وقادته هذه الفكرة الى الايمان ببقاء النفوس الانسانية بعد انسلاخها من ابدانها ، فقد جاء في احد الادعية مانصه : « يارواح عائلتي ، يارواح ابي وامي واجدادي واخي واختي واقربائي طالما انت مستقرة في العالم الاسفل كنت اقدم اليك القرابين الجنائزية، واسكب لك الماء وكنت ابذل العناية لك وابجلك ، ففي الآن امام شمس كلكامش واعرضي قضيتي واحصلي على قرار رأفة بحقي ، ليتسلم نمتاروزير العالم الاسفل الروح الشريرة التي في جسدي واعصابي وليحرسها نبمهتزيدا منادى العالم الاسفل حراسة قوية وليمنعها « نيدو» رئيس وابو العالم الاسفل من العودة ثانية خذي هذه الروح الى ارض اللاعودة ودعيني انا خادمك ، حياً ... » (٣) .

وعلى الرغم من ايمان فريق من مفكري العراق القدامى ببقاء النفوس البشرية بعد مفارقتها للابدان الا اننا نجد فريقاً آخر ، آمن بفكرة معاكسة اي انهم اعتقدوا بأن النفوس لايمكن ان تبقى بعد فناء ابدانها وقادتهم هذة الفكرة الى الاخذ أو السير في اتجاه وجودي صرف حيث استعانوا باسلوب التحدي للطبيعة والالهة، واستطاع المفكر العراقي — وخاصة السومري ان يحرر عقله ؛ فادرك ولاول مرة في تاريخ الفكر البشري من ان قدرته تفوق قدرة الآلهة ، أذ جاء في احد الرقم: يقول كلكامش لصديقه انكيدوا : (نحن الذين بغضبنا انتصرنا على الثور

١ — انظر حكمت نجيب : دراسات في تأريخ العلوم عند العرب ، ص ٣٣
٢ — انظر افلاطون ، الطيماوس واكريتس ، ترجمة بربارة ، ص ١٣٢
٣ — نائل حنون : عقائد مابعد الموت ، ص ١١٠

السماوي فلم تستطع الالهة تحقيق رغبتها ، ورغبتنا فقط هي تحققت . " (١)

٦ــ ومن الامور الفكرية الاخرى التي تطرق اليها المفكر العراقي هي الفضائل، بمعنى أدق انه اقترب من صياغة مذهب أخلاقي أذبين بان الانسان حين يموت فانه يمثل امام شمس ، حيث يجب عليه ان يبرر سلوكه الارضي ، وانه لن يحصل على الغفران الا بعد حصوله على حكم في صالحه (٢) ، وكذلك فان الالهة وضعت امام الانسان التزامات اخلاقية منها : الامتناع عن غش الناس او غش الالهة في القرابين، الامتناع عن الكذب، عدم اضطهاد الكادحين والعبيد والضعفاء والاطفال ، العمل على اطاعة القواعد الاجتماعية (٣) .

غير ان المكان الاول يظل الى الامل في الخلود ، تلك الصورة التي اتخذها الفكر العراقي فأثر بها على التأمل الاخلاقي اللاحق ، لان فكرة اعترافه بالخلود تتضمن نواة الفكرة الاخلاقية القائمة على المسؤولية الشخصية (٤) .

٧ــ وتوصل المفكر العراقي الى فكرتين جديرتين بالاهتمام الا وهما فكرة التقمص والحلول ، والتقمص فكرة فلسفية تعني في جملة ما تعني ان نفس الانسان تستطيع ان تتقمص في ابدان كثيرة سواء اكانت تلك الابدان حيوانية او جمادية أو أنسانية وبهذا الاسلوب «يستطيع ان يصبح الهاً ، وتتقمص شخصيته القوى الكونية الكبرى التي تحيط به ،وهكذا يستطيع التأثر عليها بالفعل والحركة لابمجرد الرجاء والضراعة »(٥)

اما الفكرة الثانية وهي فكرة الحلول فهي تعني ان الاله يحل في ابدان البشر لاداء مهمة ما ويعبر النص الاسطوري في الفكر العراقي القديم عن هذه الحالة عندما كانت «ننليل» تبحث عن «انليل» فحل «انليل» في حارس الباب لكي

---

١ ــ انظر فاضل عبد الواحد علي : مأساة تموز ص ٦٥

٢ ــ نائل حنون : عقائد مابعد الموت ص ١٠٩

٣ ــ آ. م. دياكونوف ،ملحمة كلكامش ص ١٦٥

٤ ــ انظر فرانكفورت ، ماقبل الفلسفة ص ٣٣٩

٥ ــ المصدر السابق ص ٢٣٧

يختفي عنها ، وجاءت «ننليل» تسأل الحارس دون ان تعرف ذلك «ياحارس نهر العالم الاسفل ، النهر الذي يفترس البشر (انليل) صكك الى اين هو ذاهب؟ « انليل » يجيب بلسان حارس نهر العالم الاسفل ، النهر الذي يفترس البشر « انليل» ملك جميع البلاد قد امرني ... ،، (١)

وآمن المفكر العراقي كذلك بفكرة القضاء والقدر ، ولهذا السبب اعتقد بان الانسان مسير في تصرفاته من قبل الالهة في كل شيء وواضح بان الانسان مسلوب الحرية ، حيث يقول ، الآن قد قرر «قدر» الكون واعطى الشاطيء والقناة اتجاههما الصحيح وأقيمت ضفتا دجلة والفرات فماذا نحن غير ذلك فاعلون » . (٢)

ونجد عند المفكر العراقي كذلك فكرتين جديرتين بالاهتمام اخذ بهما بعض المفكرين فيما بعد الاولى تخص الناحية الاجتماعية ، حيث نجده وقد قسم المجتمع الى طبقات ووضع لكل طبقة قوانين خاصة (٣) ، والثانية تخص الناحية السياسية أذ نجده قد آمن بنظرية التفويض الالهي في الحكم (٤).

٨ – وحاول المفكر العراقي القديم طرح تفسير رياضي للكون ،وهذا يعني بانه أراد أن يفهم العالم الخارجي فهماً عقلياً ،لايمانه بان العالم يسوده النظام والانسجام .وان الاساس الرياضي الذي اعتمده نعثر على صداه

---

١ – صموئيل كريمر : الاساطير السومرية ، ص ٧٣–ص٧٤

٢ – صموئيل كريمر ، السومريون تأريخهم وحضارتهم ص ١٦٤

٣ – انظر عامر سليمان ، القانون في العراق القديم ص ٤٦

٤ – المصدر السابق ص ١٣٨

صداه في الرقم الطينية التي خلفها وراءه هذا المفكر ، فتكشف لنا ذلك الرقم محاولة المفكر العراقي لوضع اسس ومفاهيم العلم الرياضي وصياغة بعض القضايا .وما يؤكد ماتذهب اليه « كلاين Kline »في كتابة «الرياضيات في الحضارة الغربية» (١) هذا من ناحية ومن ناحية أُخرى نجدهقد اهتم بعلم الهندسة ،وكان اهتمامه بالهندسة قد استدعته حاجته اليها في بناءمعبد أو تعبيد طريق .. وعبر تطور تاريخي طويل وممارسات عديدة قام بهاالمفكر العراقي ،انتقلت فيها الهندسة من الجانب العملي الحسي إلى الجانب النظري التجريدي (٢) ،اذ نجده قد استطاع اقامة البرهان على المبرهنة التي عرفت في تاريخ الرياضيات باسم فيثاغورس .حيث اكتشف لوح طيني يدل بوضوح على معرفة بنظرية المثلث القائم الزاوية (٣) .

٩ ــ وختاماً أستطيع أن أقول بكل تواضع بان البذور الفكرية التي ناقشهاالعراقي قد أثرت ودخلت في بناء افكار جديدة لاحقة مع اضافات جديدة تلائم العصر الذي وجد فيه المفكرون فيما بعد ،لان التقدم لم يبتدىء من الصفر ، وان أي حضارة تنشأ على أنقاض الحضارات السابقة .فالفكر ليس ملكاً لشخص .بل ملك للانسانية جمعاء ،والفكر له خصيصه الانتشاروهذا السبب يصعب فهم وتحديد القنوات التي يمر منها أو طرق انتقال تراث إلى أُمة أُخرى .

---

١ ــ محمد جلوب فرحان : تحليل ارسطو للعلم البرهاني ، ص ١٣

٢ ــ المصدر السابق ص ١٤ ــ ١٥

٣ ــ انظر طه باقر ،لوح رياضي على نظرية لا قليدس في تل حرمل ، مجلة سومر سنة ١٩٥٠ ج ١ ــ المجلد ٦ .

مصادر البحث

أ — المصادر العربية :

١ — احمد امين ، زكي نجيب محمود ، قصة الفلسفة اليونانية مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ١٩٦٦ م

٢ — أم . دياكونوف ،ب‌س ترافيوف ، ملحمة كلكامش ، ترجمة عزيز حداد ، منشورات مكتبة الصياد ط١ ١٩٧٣م

٣ — افلاطون : الطيماوس وأكرتيس تحقيق البير ريفو ترجمة فؤاد جرجي بربارة منشورات وزارة الثقافة والسياسة والارشاد القومي ١٩٦٨ م .

٤ — اولف جيمن : المشكلات الكبرى في الفلسفة اليونانية ، ترجمة عن الالمانية وعلف عليه د . عزت فرني مطبعة الكيلاني ، القاهرة ١٩٧٦

٥ — توفيق الطويل الفلسفة الخلقية نشأتها وتطورها ، الاسكندرية ١٩٦٠ م .

٦ — جورج هاوك وهارر ، معجم في الاساطير اليونانية ، ترجمة امين سلام ط١ سنة ١٩٥٥ م

٧ — حكمت نجيب دراسات في تاريخ العلوم عند العرب ،

٨ — طه باقر ، مقدمة في تاريخ الحضارات ،ج١ط٢ ١٩٥٥م

: بابل وبورسيا ، مطبعة الحكومة بغداد ١٩٥٩.

٩ — صموئيل نوح كريمر الاساطير السومرية ، ترجمة يوسف داود وعبد القادر ، مطبعة المعارف بغداد ١٩٧١.

: السومريون تاريخهم ترجمة فيصل الوائلي دار غريب للطباعة ، بغداد ١٩٧٣ م .

١٠ — عامر سليمان ، القانون في العراق القديم ا لموصل ١٩٧٧ م

١١ — عبد الرحمن بدوي ، ربيع الفكر اليوناني ، القاهرة ١٩٤٣ م

١٤ ــ فاضل عبد الواحد علي ، عشتار ومأساة تموز ، بغداد ١٩٦٣ .
١٥ ــ فرانكفورت ، هـ، ماقبل الفلسفة، الانسان في مغامراته الفكرية الاولى الاولى ــ ترجمة جبرا ابراهيم جبرا بغداد ١٩٦٠ م
١٦ ــ كريم متى : الفلسفة اليونانية ، بغداد ١٩٧١ .
١٧ ــ كيورك مرزينا ، النفس عند ابن العبري ، رسالة ماجستير في الفلسفة (غير منشورة) ١٩٧٥ م .
١٨ ــ محمد حلوب فرحان : تحليل ارسطو للعلم البرهاني رسالة ماجستير (غير منشورة) ١٩٧٦ .
١٩ ــ نائل حنون ، عقائد مابعد الموت في حضارة وادى الرافدين ، رسالة ماجستير (غير منشورة) ١٩٧٥ م
٢٠ ــ ياسين خليل : منطق البحث العلمي ، بغداد ١٩٧٤ .
٢١ ــ يوسف كرم ، تاريخ الفلسفة اليونانية ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ١٩٤٦ .

ب ــ المصادر الاجنبية :

22- Barnet·J·, Early Greek Philosphy, London, 1958
23- James·R·, Ancient near eastern, New Jersy, 1955
24- Taylor'M.E·J·, Greek Philosophy., London, 1953

ج ــ المجلات

٢٥ ــ افاق عربية ، مقالة نشرها الدكتور ياسين خليل تحت عنوان ، «نظرة الانسان الشاملة إلى الكون ».
العدد الخامس سنة ١٩٧٦ م.
٢٦ ــ مجلة سومر ، مقالة بقلم مدام ايليا كاسان ترجمها ونشرها الدكتور وليد الجادر تحت عنوان « مفهوم الزمان والمكان في الفكر العراقي القديم» . ٢٩ مجلد ٣١ سنة ١٩٧٥) .
٢٧ ــ مجلة سومر مقالة بقلم طه باقر تحت عنوان لوح رياضي على نظرية الاقليدس في كل حرص ، ج ١ مجلد ٦ سنة ١٩٥٠ م.